عبد المعز خطاب

أخي المسلم:

صحح صيامك

الدار الذهبية

الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

تليفون ::٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨ فاكس ٣٥٤٦٠٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . . وبعد :

فإن الصوم يرتقى بالإنسان إلى مرتبة الملائكة ، وذروة الكمال يتحرر به من قيود الشهوات ، ومألوف العادات ، وعبودية الغرائز .

والصوم عبادة فرضت فى كل الأديان ، وإن اختلفت فى التفاصيل ، وقد شرع الله الصوم لحكمة بالغة هى أن يحقق الإنسان بها التقوى ، ويتعلم كيف يسيطر على النوازع الحيوانية ويتخلص من قبضة الشيطان ، يعود الإنسان على الحرمان الموقوت والرسول ﷺ يقول : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » .

إن الصائم تختفى منه مظاهر الرياء ، والتطلع إلى إعجاب الناس ، وليس مهماً أن يصوم المسلم فقط نهاراً عن الطعام والشراب والشهوة ، إنما المهم أن يصوم الليل بكف الجوارح عن المآثم ، وإلا فسد صومه ، والله تعالى يقول : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴿١٨٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥] .

المقصود بالشهر بليله ونهاره ، فالصوم وسيلة للطهر والنقاء الداخلى والخارجى .

وهذا الكتاب عرضت فيه للصيام بكل جوانبه (مكانة صيام رمضان بين العبادات) (فضائل رمضان) (كيف يكون الصيام سليماً) (مراتب

الصيام) (علاقة الصوم بليلة القدر والاعتكاف) (مبطلات الصيام) (الصوم عبادة قديمة) عرفته الأمم السابقة وتنوع صيامها (وعرض لآيات صوم رمضان من سورة البقرة) (زكاة الفطر) .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ .[البَقَرَة: الآية ٢٨٦]

عبد المعز خطاب

* * *

أضواء على الصيام

الصيام عبادة كريمة قوامها أن يمتلك الإنسان نفسه ، وأن يحكم هواه ، وأن تكون لديه العزيمة التى يترك بها ما يشتهى ، فتتحرر إرادته .

والصوم تعود على الحرمان الموقوت يدرب المسلم على الشدائد لقول النبى ﷺ : « **حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات** » ، فالصائم محب لله مقبل على طاعته كاره أن يعود للكفر .

يقول صلى الله عليه وسلم : « **ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الإيمان : أن يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للّه ، وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يقذف فى النار** » .

وصوم رمضان جاء فى موضع واحد فى القرآن الكريم دون العبادات ، فقد ذكرت الصلاة كثيراً وكذلك الزكاة والحج ، كأنما أراد الله أن يلفت نظر المسلم إليه ، نجد ذلك فى الآيات التى بدأت بقول الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٣]

وأراد الله بالصوم أن ترتفع النفس عن ضرورات الجسد ، وتتعلم كيف تسيطر على النوازع النفسية ، وتتيقظ عنده ملكة المراقبة ، ومجرد الصوم عن الطعام والشراب والشهوة إنما هو (الصيام الحيوانى) لأن الحيوان يشارك فى ذلك ، ولكن الجانب الروحى هو الأهم ، ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس للّه حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه** » .

ويستحق الإنسان بذلك تكريم الله له ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾ [الإسرَاء: الآية ٧٠] .

ويستحق قول الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾
[التين : ٥]

وإلا انتكس إلى أحط من الحيوان : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ [التين: الآيتان ٥،٦]

والصيام يحرر من سلطان العادة ويقى الإنسان من الشرور ، ولذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام : « **الصوم جنة** » أى وقاية ، فالصائم سيطر على جوارحه وشهواته ، فصبر على الجوع والعطش والشهوة ، وغض البصر ، وحفظ فرجه ، وصان لسانه ، وأخلص العبودية لله ، وأحسن المعاملة مع الآخرين .

شروط الصيام :

الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، النقاء من الحيض والنفاس ، والقدرة على الصوم والصحة .

ما يبطل الصيام وفيه القضاء فقط :

١ - عقد نية الإفطار أثناء الصوم .
٢ - وصول شىء ولو يسير إلى الجوف عمداً عن طريق الفم أو الأذن أو الأنف .
٣ - نزول دم الحيض والنفاس .
٤ - تعمد القىء .
٥ - الإنزال بغير جماع (ولو بالتفكير ماعدا الاحتلام) .
٦ - الردة عن الإسلام .

ما يبطل الصيام وفيه القضاء والكفارة :

الأكل أو الشرب أو الجماع عمداً .

أنواع الصيام ومراتبه

للصيام أنواع ومراتب نوجزها فيما يلى :

أنواعه :

١ - **صوم فرض** : (كصيام شهر رمضان) (وقضاء أيام الإفطار) (والصيام فى الكفارات) .

٢ - **صوم تطوع** : (كصيام يوم عرفة) (وصيام يوم عاشوراء) (وصيام يومى الاثنين والخميس) (وصيام ست من شوال) .

٣ - **صوم كراهية** : (كصيام يوم الشك) لقول النبى ﷺ « **من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم** » . (وصيام يوم الجمعة) إلا إذا سبقه يوم أو لحق به يوم (وصيام أيام التشريق) وهى الأيام التى تلى (عيد الأضحى) ، ويقيم الحجاج فيها بمنى .

٤ - **صوم حرام** : (كصيام يوم العيد) (أو صيام الحائض والنفساء) أى المرأة حديثة الولادة (وصيام المرأة تطوعاً بغير إذن زوجها إذا كان حاضراً ، أما إذا كان مسافراً فلها أن تصوم) .

٥ - **صوم اختيار** : (كصيام المريض أو المسافر إذا استطاع) ولم يرهقه الصوم .

مراتب الصيام :

الصيام على ثلاث مراتب :

الأول : صوم عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى

غروب الشمس ، واطلاق الجوارح فى شهواتها (وهذا صيام غير مقبول لقول النبى ﷺ : « **ليس الصيام من الطعام والشراب ، وإنما الصيام عن اللغو والرفث** » .

الثانى : صيام عن الطعام والشراب والشهوة مع كف الجوارح عن المآثم ، وكل ما يغضب الله ، وهذا هو الصيام المطلوب شرعاً .

الثالث : **صيام الخاصة** : يصوم كما سبق ويحمى قلبه من الحقد والحسد والتفكير فى الدنيا ، وينشغل بذكر الله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرّعد : الآية ٢٨] .

* * *

مبطلات الصيام

هناك أمور إذا وقع فيها الإنسان بطل صيامه :

١ - **عقد نية الإفطار أثناء الصوم** : لقول النبى عليه الصلاة والسلام : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » .

٢ - **وصول شىء ولو يسير إلى الجوف عمداً عن طريق الفم** أو الأذن أو الأنف (لأنها فتحات موصلة للمعدة) .

ويعفى من ذلك غبار الطريق أو غبار الدقيق بالنسبة للخباز كما يعفى مريض القلب إذا جاءته الأزمة ووضع حبة تحت لسانه فتسرى فى الخلايا دون أن تأخذ طريقها كالطعام .

٣ - **نزول دم الحيض أو الولادة فى أى وقت** بالنسبة للمرأة فإنه يبطل الصيام ولابد وأن تفطر المرأة (لأن الصيام مشقة ونزول دم الحيض أو الولادة مشقة) ولا يريد الله أن يجمع عليها مشقتين .

٤ - **تعمد القىء ولو كان قليلاً** أما إذا استقاء دون إرادته فإنه يكمل صومه لقول النبى عليه الصلاة والسلام : « **من زرعه القىء** - أى غلبه دون إرادته - **فليس عليه قضاء ، ومن استقاء فليقض** » .

٥ - **إنزال المنى بالجماع أو الاحتكاك أو ممارسة العادة السرية** أو أى صورة من صور الشهوة (كاللواط) أو (السحاق) ، وهو ما بين المرأة والمرأة كل ذلك يبطل الصيام (ماعدا الاحتلام) والصائم نائم فإنه لا إرادة له ، لقول النبى عليه الصلاة والسلام : « **رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى**

يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبى حتى يبلغ الحلم » لأن كل واحد منهم فاقد الوعى والأهلية .

٦ - **الردة عن الإسلام** : (فإنه لم يعد مسلماً) فلا يصح له صيام .

٧ - **إذا أصبح الصائم جنباً بالاحتلام** أو إتيان الزوجة يستمر فى صومه على أن يسارع بالاغتسال للطهارة .

كفارة الجماع فى رمضان :

الجماع أو الأكل والشرب عمداً فى نهار رمضان يستوجب (قضاء اليوم) أى إعادته (والكفارة) وهى : (إما عتق رقبة) وقد انتهى الرق من العالم ، أو (صيام شهرين متتابعين) أى صيام ستين يوماً متتالية ، فإن قصر فى واحد منها أعادها كلها ثانية ، أو (طعام ستين مسكيناً) لكل مسكين وجبتان (تعادل وجبة الإفطار والسحور) من أوسط ما يطعم المفطر حسب حالته الاجتماعية .

* * *

الصيام والكفارات

الصيام هو العبادة الوحيدة التى تدخل فى الكفارات ، وقد تعددت صور الكفارات :

أولاً كفارة الظهار : إذا قال الرجل لامرأته : (أنت علىَّ كظهر أمى) أى أنت محرمة علىّ كأمى (لا يكون ذلك طلاقاً) بل يسمى (ظهاراً) فليس له أن يمس امرأته ويعاشرها معاشرة الأزواج إلا إذا قدم (كفارة) تأديباً له ، لأنه وضع أمه موضع الزوجة (والأم لها مكانة عالية) .

وجاء الصيام فى هذه الكفارة متوسطاً بين (العتق والإطعام) ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [المجادلة : الآيتان ٣، ٤] .

ثانياً : كفارة القتل الخطأ :القتل العمد يستوجب (القصاص) بقتل القاتل ، أما القتل الخطأ (كأن أطلق رجل النار فأصابت إنساناً وقتلته وهو لم يقصد بذلك ، فعليه كفارة) وجاء فى قول الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء : الآية ٩٢] .

ثالثاً : كفارة اليمين : (وقد تأخر الصيام فى الترتيب بعد « الإطعام » أو « تحرير رقبة » فالذى يحلف على يمين ويريد أن يعود إلى الصواب فإن

الإسلام يقبل منه أن يعود بشرط الكفارة والرسول ﷺ يقول : « **من حلف على يمين فرأى أن غيرها خير منها فليأت الذي هو خير وليكفر** » .

والكفارة أولاً (إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم) من أوسط ما يطعم الحانث في اليمين ، والتخيير هنا بين (الإطعام والكسوة) له حكمة (فهناك شعوب عندها الكساء أيسر من الطعام) كشعب الصين (فإذا لم يجد فتحرير رقبة) وقد انتهى عهد الرقاب ، فإذا لم يستطع يصوم ثلاثة أيام متتالية أو متفرقة تيسيراً على المسلم ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: الآية ٨٩] .

رابعاً : كفارة قتل الصيد في الحرم : إذا اصطاد إنسان حيواناً أو طائراً وهو بملابس الإحرام لأداء عمرة أو حج فلابد أن يكفر والكفارة حسب نوعية الصيد ، يقيمه مسلمان عادلان ، فإن لم يستطع دفع المال يحدد عدد أيام الصيام حسب الوضع ، وحسب عدد المساكين الذين كان من المفروض أن يطعمهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: الآية ٩٥] .

خامساً : كفارة الوقوع في محظورات الإحرام : (وهنا يأتي الصوم أولاً) ، والوقوع في محظورات الإحرام (كالمباشرة مع الزوجة من غير جماع) لأنه يفسد الحج والعمرة ، أو (حلق الرأس) أو (تقليم الأظافر) أو (اكتساب المعاصي بالقول أو الفعل) أو (المخاصمة مع الرفقاء) نزولاً

على قول الله ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: الآية ١٩٧] .

محظورات الإحرام : (لبس المخيط أو المحيط « كالعمامة » أو لبس الحذاء ويباح النعل المكشوف (التطيب) ويدخل الصيام فى هذه الكفارة ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة: الآية ١٩٦] .

سادساً : كفارة الاستمتاع فى الحج : أى التحلل من الإحرام بعد أداء العمرة والعودة إلى الحياة العادية حتى يأتى يوم عرفة ، فيحرم للحج من جديد وبذلك استمتع (والصوم هنا يأتى أولاً) ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴿١٩٦﴾﴾
[البقرة: الآية ١٩٦]

* * *

الصوم عبادة قديمة

عرفت البشرية منذ فجر التاريخ الصيام ، تهذيباً للنفس ، وسمواً بالروح يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البَقَرة: الآية ١٨٣] .

ومن صور الصيام : الصيام عن الكلام ، قامت به السيدة مريم بعد أن وضعت سيدنا عيسى ، وأرادت أن تتفادى أذى قومها ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريَم: الآية ٢٦] .

وسيدنا زكريا لما بشرته الملائكة بالولد ، وأنه سينجب يحيى رغم كبر سنه ، وعقم امرأته طلب علامة ، فأمر بالصيام عن الكلام : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ .

[مريَم: الآيتان ١٠،١١]

والأنبياء عليهم السلام صاموا صيامنا الطبيعي ، وهو الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهذا واضح مع سيدنا موسى عليه السلام قبل أن يناجي ربه ، لتلقى الألواح ، أمره الله بصيام شهر كامل ، فلما أتمه أحس أن رائحة فمه تغيرت ، فأخذ عود ريحان ولاك به فمه ، فلما قدم على مولاه سأله ماذا فعلت يا موسى فأخبره ، فقال له ربه :

« أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك »

وأمره أن يصوم : ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٢] .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يعتز بصيام داود ، ويعتبره أسوة ، فيقول : « **خير الصيام صيام أخى داود ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً** » وهذا واضح أنه كان يصوم صيامنا المعروف .

ويرى بعض العلماء أن صيام رمضان كان مفروضاً على أهل الكتاب لكنهم تركوه لما جاء وقت الحر ، وزادوه إلى أربعين يوماً ثم إلى خمسين يوماً فى الشتاء (وهو ما يعرف عندهم بالصيام الكبير) .

ولما دخل النبى المدينة المنورة ، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسألهم النبى ﷺ عن سر ذلك ، فقالوا : (إنه اليوم الذى أنجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل) فقال : « أنا أولى بموسى منكم » وصامه وأمر المسلمين بصيامه (فلما فرض صيام شهر رمضان) أصبح صيام يوم عاشوراء سنة مؤكدة .

والصيام عند المسيحيين عن بعض أنواع الطعام وخاصة (الغذاء الحيوانى) .

* * *

أضواء على آيام صوم رمضان فى سورة البقرة

لا يمكن لمسلم أن يصوم رمضان صياماً سليماً إلا إذا تدبر آيات صيام رمضان التى وردت فى سورة البقرة (وسبق أن أشرنا أن صوم رمضان دون العبادات جاء فى موضع واحد فى هذه الآيات التى بدأت بقول الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٣] .

أولاً : نداء المؤمنين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ خاصة باتباع سيدنا محمد وبعدها يأتى غالباً التشريع الإسلامى ، يقول سيدنا عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : (إذا سمعت يا أيها الذين آمنوا » اصغ لها سمعك فإن وراءها أمراً أونهياً) .

ثانياً : وحدة الدين : فليست هذه الأمة بدعاً من الأمم ، وإنما كما فرض الله على السابقين (صلاة وزكاة وصياماً وحجاً) فرض على هذه الأمة ، والاختلاف فى التفاصيل (فليس هناك أديان) إنما الدين واحد جمع الله عليه الرسل كما قال ربنا عن أولى العزم : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ١٣ ﴾ [الشورى: الآية ١٣] .

والدين هو الإسلام : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ١٩ ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩] اعتنقه كل الرسل من أول نوح إلى محمد ﷺ .

والله يقول : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨٥] .

يقول الله على لسان **نوح** : ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢ ﴾ [يُونس: الآية ٧٢] .

ووصف **إبراهيم** بأنه مسلم : ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: الآيتان ١٣١، ١٣٢] .

ويوسف عليه السلام فى آخر المطاف دعا ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: الآية ١٠١] .

وموسى عليه السلام يطلب من قومه الإسلام : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس: الآيتان ٨٤، ٨٥] .

وسليمان لما كتب رسالته إلى ملكة سبأ دعاها إلى الإسلام : ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: الآيات ٢٩-٣١] .

وملكة سبأ أعلنت الإسلام : ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: الآية ٤٤] .

وعيسى عليه السلام قبل أن يرفع إلى السماوات أراد أن يعرف من هو المسلم ، ومن هو الكافر ، فجمع الناس وصاح فيهم فأعلن (الحواريون) الإسلام : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: الآيتان ٥٢، ٥٣] .

والنبى ﷺ لما أرسل رسائله المشهورة إلى ملوك ورؤساء العالم دعاهم إلى الإسلام ، ويختم الرسالة بقول الله : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ

سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

[آل عِمرَان: الآية ٦٤]

ثالثاً : بلوغ التقوى :

فالصيام وكل العبادات هدفها بلوغ التقوى ، قال الله : ﴿لعلكم تتقون﴾ .

والتقوى : جماع الخير كله وهى الهدف من الدين دخلت فى (العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، كما هو واضح فى آية البر فى سورة البقرة التى أنهاها الله بقوله : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ .

[البَقَرة: الآية ١٧٧]

وقد عرف العلماء التقوى بأنها : (الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل) وعرفها العلماء : (ألا يراك الله حيث نهاك وألا يفتقدك حيث أمرك) وعرفها العلماء (أن يطاع الله فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى وأن يحمد فلا يجحد ، وأن يشكر فلا يكفر) .

وسأل سيدنا عمر رضى الله عنه أُبى بن كعب عن التقوى فقال : (أما سلكت وادياً فيه شوك ؟ قال : نعم ، قال : فماذا صنعت ؟ قال : شمرت واجتهدت حتى لا يصيبه الشوك ، قال أُبى (فكذلك التقوى) تتحرز من كل المعاصى لأن الإنسان يخوض فى شهوات ومحرمات ويجب الحذر .

وأولياء الله الذين يستحقون بشارة الملائكة ويفوزون بالجنة هم الذين يتوفر فيهم : (إيمان راسخ) (ويلزمون التقوى) : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ

ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: الآيات ٦٢-٦٤] .

ولزوم التقوى يوسع فى الرزق ، ويفرج الكرب : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: الآيتان ٢، ٣] .

والتقى يلزم الصدق فى قوله ومعاملاته : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: الآية ١١٩] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ .
[الأحزاب الآيتان : ٧٠ ، ٧١]

وأن يلزم العدل حتى مع الخصوم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: الآية ٨] .

والتقوى ضد الفجور : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: الآيات ٧-١٠] .

ولا يتساوى التقى والفاجر : ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٢٨] .

والتقوى أن تضبط لسانك عن فحش القول والبعد عن الجدل المؤدى إلى الشقاق : ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧] .

وللتقوى نتائج طيبة : فهى نور يهدى الحائرين على طريق الحق : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: الآية ٢٨] .

والتقوى الطريق إلى مرضاة الله والفوز بالجنة : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: الآية ٥٢] .

ولـن يدخـل الجنـــة إلا تـقى : ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: الآية ٦٣] .

ولن ينجو من النار إلا تقى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ .

[مريم: الآيتان ٧١،٧٢]

ويفتح الله بالتقوى أبواب رحمته ، ويوسع فى الرزق : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: الآية ٩٦] .

رابعاً : الحرص على الوقت :

فقد جاء ذكر الزمن فى هذه الآيات تنبيهاً للغافلين :﴿ أياماً معدودات ﴾ ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: الآية ١٨٧] .

والعبادات مرتبطة بالزمن : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: الآية ١٠٣] .

والزكاة بزمن : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٤١] .

والصوم بزمن ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥] .

والحج بزمن : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٧] .

والله أقسم بكل جزئيات الزمن (والفجر) (والصبح) (والعصر) (والليل) (والضحى) والنهار يخلف الليل ويتتابعان إلى يوم القيامة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفُرقان: الآية ٦٢] .

والزمن هو الوعاء الذى تنخلق فيه الأشياء ، وكل يوم يمضى لا يعود إلى يوم القيامة ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد ، فاغتنمنى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة** » .

ومزج الله تسبيحه وتحميده بالزمن : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الرُّوم: الآيتان ١٧، ١٨] .

والنبى عليه الصلاة والسلام يحذر المسلم أنه مسئول عن عمره ككل ، وعن فترة الشباب خاصة ، وعن ماله من أين جاء ، وفيم انفق ، وعن علمه ماذا عمل به : « **لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه** » وربما عاش الإنسان مائة عام ولكنها لا تقدر عند الله بلحظة ، فأعمار العابثين ضائعة ، والله يسأل الكافرين يوم القيامة : ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: الآيات ١١٢-١١٥] .

كل يوم يمر يقتطع من عمر الإنسان ، فلابد وأن يحرص عليه وأن يؤدى فيه عملاً صالحاً .

خامساً : التيسير والتخفيف :

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك: الآية ١٤] .

والإسلام دين يسر والعبادات تتناسب مع كل إنسان (مع الغنى والفقير) (ومع الصحيح والمريض) (ومع المسافر والمقيم) ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦] .

فالله يسر على عباده : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥] .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النِّساء: الآية ٢٨] .

والنبى عليه الصلاة والسلام أوصى بالتيسير والتخفيف وهو القائل : « **يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا** » .

ولا يرضى النبى بالتشدد فى الدين ، فقد غضب لما علم أن ثلاثة شددوا على أنفسهم قال أحدهم : (لأصومن الدهر أبدا) وقال الثانى : (لأقومن الليل أبدا) وقال الثالث : (وأنا أعتزل النساء) خرج عليهم وقال لهم : « **ما مقالة بلغتنى عنكم أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، إنى لأصوم وأفطر وأقوم وأرقد وأقرب النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى** » .

كره التشدد فى الدين وهو القائل : « **إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى** » .

والمنبت الذى يركب دابة فما يزال يضربها حتى تموت فلا هو أبقى على

دابته ، ولا هو بلغ غايته (وكذلك المتشدد فى الدين لن يدخل الجنة أبداً) .

والنبى ﷺ لما صلى بالناس صلاة التراويح ورأى الناس يتزاحمون عليها خاف أن تفرض عليهم فلا يقومون بها ، فامتنع عن الخروج إليهم وصلاها فى بيته رفقاً بالأمة .

والرسول ﷺ يقول : « **إن اللّه فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها** » .

والله يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة: الآية ١٠١] .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يخفف فى صلاته إذا سمع بكاء طفل مخافة أن تفتن أمه ، ويأمر بالتخفيف فى صلاة الجماعة ، فالناس فيهم المريض والمسافر « **من صلى بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة** » .

سادساً : إطعام الفقراء والمساكين :

ما خلق الله الناس كلهم أغنياء ، وماخلقهم كلهم فقراء إنما خلق الغنى والفقير ، لتنظيم الحياة ، وطالب بالعطاء ومن هنا (فرض الزكاة) (وحبب فى الصدقة) .

والزكاة : هى المذكر للفرد بحصة الجماعة فى ماله الذى اكتسبه من حلال ، وهى الامتحان فيما تهوى النفس من حب المال والشح : ﴿ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴿١٧٧﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٧] والمعروف أن المال أحب إلى الإنسان حتى من أولاده ، ولذلك يتقدم المال الأولاد فى الذكر : ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيۡرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٦] .

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ .
[التغابن: الآية ١٥]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: الآية ٩] .

والله حبب فى الإنفاق فى سبيله واعتبره ديناً عليه سبحانه يرده لعبده أضعاف أضعاف : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٤٥] .

والمال مال الله ، والعبد ملك الله : ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ ﴿٣٣﴾﴾ [النور: الآية ٣٣]

وقال سبحانه : ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ ﴿٧﴾﴾ .
[الحديد: الآية ٧]

وفى الحديث القدسى : « **الأغنياء وكلائى ، والفقراء عيالى ، فإذا بخل وكلائى على عيالى أذقتهم نكالى ولا أبالى** » .

وإخراج الصدقات يحمى العبد من أخطار جسيمة ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تطيل فى العمر** » ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « **داووا مرضاكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة** » .

والشح مهلكة للأفراد والجماعات ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم** » .

والشح وبال على صاحبه ، والمال الذى حبسه عن مصارفه يتمثل له ثعباناً رهيباً يطوق عنقه ويغرس فى وجهه أنيابه ، وينفث سمه ، والله

يقول : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٠] .

سابعاً : أدب الدعاء :

يقول المولى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٦] .

والدعاء معناه الابتهال إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة فيما عنده ، وهو من المحتاج إلى القادر ، ولهذا ندعو فى صلواتنا مرات ومرات عندما نقرأ سورة الفاتحة : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفَاتِحَة: الآيات ٥-٧] .

والدعاء دأب الصالحين ، وصف الله المؤمنين به : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السَّجدَة: الآيتان ١٦، ١٧] .

والله يحذرنا من التقصير فى الدعاء فنحن فى حاجة إليه داعين ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غَافِر: الآية ٦٠] .

ودعانا سبحانه أن ندعوه فى خوف وخشية ، وأن نطمع فى عطائه ، فهو صاحب الأفضال ومالك الكون : ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعرَاف: الآيتان ٥٥، ٥٦] .

وسيدنا زكريا كان قد بلغ من الكبر عتياً ، وكانت امرأته عاقراً ومع

ذلك طمع فى الولد ودعا الله فى محرابه ، وخشع فى حضرته ، وكان خيراً والله يوضح ذلك : ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: الآيتان ٨٩، ٩٠] .

والنبى يحثنا على الدعاء فى كل وقت وخاصة فى الثلث الأخير من الليل وبعد كل صلاة مكتوبة ، فقد سئل صلوات الله وسلامه عليه : (أى الدعاء أسمع) أى يستجيب الله له مباشرة ، قال : « **جوف الليل الآخر ودبر كل صلاة مكتوبة** » ، والسجود مستجاب فيه الدعاء ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء** » .

والله لا يرد دعوة العبد الخاشع الخالص يقول عليه الصلاة والسلام : « **إن ربكم حيى كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا** » .

ودعاء الصائم بعد الإفطار يستجاب : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين** » .

والدعاء يجب أن يكون فى الخير : ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: الآية ١١] .

وقبل أن تدعو الله تصالح معه ، ولا يصح أن تدعوه وأنت تأكل حراماً ، أو تقترف المعاصى ، فقد قال سعد بن أبى وقاص : يا رسول الله ادع الله لى أن أكون مستجاب الدعوة فقال : « **يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، فوالذى نفسى بيده إن الرجل ليقذف باللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين صباحاً** » .

ومن غير الله يستجيب الدعاء ، ويحمى الخائف والمضطر : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: الآية ٦٢] .

ولقد دعا النبى والأحزاب يحاصرون المدينة ويحيطون بها كما يحيط الخاتم بالإصبع ، فشتت الله شملهم دعا : « **اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وسريع الحساب اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم** » واستجاب الله : ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢٥] .

وعلمنا ربنا أن ندعو لأنفسنا وللمؤمنين الذين سبقوا : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: الآية ١٠] .

ثامناً : حسن المعاشرة الزوجية :

لعل الإنسان يعجب أن يقرن الله الصيام باتيان الزوجة وحسن معاملتها ، فلا يصح الصيام إلا إذا كان الإنسان فى بيته عادلاً ومرحاً بشوشاً فى خدمة أهله كما تقول عائشة : (كان رسول الله أحسن الناس وألين الناس ضحاكاً بساماً ، وكان إذا دخل بيته صار فى خدمة أهله يرقع الثوب ويخصف النعل ويحلب الشاة فإذا حضرت الصلاة خرج إليها) .

يقول المولى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: الآية ١٨٧] .

إذا كان المولى قد حرم علينا الطعام والشراب والزوجة فى الصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، فقد أحل لنا ذلك من غروب الشمس إلى طلوع الفجر .

والزوجة سكن للرجل وتنشر المودة والرحمة : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٢١] .

والله أوصى بحسن معاشرة الزوجات والرجل يملك الزمام : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النِّساء: الآية ١٩] .

وفى خطبة الوداع أوصى النبى ﷺ بالنساء خيراً « **استوصوا بالنساء خيراً فانهن عندكم عوان** – أسيرات – **أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاستوصوا بالنساء خيراً** » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « **ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم** » .

ويقول : « **خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى** » .

وكان النبى يتودد إلى زوجاته ولا يترك الزوجة حتى ترضى فكان يقول : (يا عائشة إنى لأعلم متى ترضين ومتى تغضبين) قالت : كيف ذلك يا رسول الله ، قال : (أما حين ترضين تقولين لا ورب محمد ، وأما حين تغضبين فتقولين لا ورب إبراهيم) فقالت : والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك .

وكان يضع رأسه فى حجرها ويقرأ القرآن وهى حائض .
وحذر الإسلام من ضرب الزوجة ضرباً يحدث عاهة أو يكسر عضواً ،

والنبى لم يضرب امرأة قط يقول أنس : خدمت رسول الله عشر سنين فما رأيته يضرب امرأة قط .

وكان يحذر من ضرب الزوجات عموماً ، ويقول : « **أما يستحى أحدكم يضرب امرأته أول النهار ، ويجامعها آخره** » .

ويؤدبنا النبى ﷺ أن نعامل المرأة حسب طبيعتها الرقيقة : « **إن المرأة خلقت من ضلع أعوج لا تستقيم لك على طريقة فإن رحت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها** » .

وإذا كان المولى قد جعل (القوامة) للرجل ومعناها (رئاسة البيت) فليس ذلك تحيزاً لجنس الرجال ، وإنما لأن الرجل هو الأقدر والأقوى للدفاع عن البيت وهو المسئول عن الإنفاق ، والمرأة تعتريها حالات ضعف من حيض وحمل وولادة وإرضاع ، لا تستطيع معها أن تقوم بحماية البيت لكن الرجل متفرغ : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: الآية ٣٤] .

* * *

من هم أصحاب الأعذار الذين لا يصومون

أولاً : المسافر : الذى يرهقه السفر والأئمة قالوا : (ألا تقل المسافة عن ثمانين كيلو متراً) (كالمسافة بين القاهرة وطنطا) ورأى بعض العلماء ألا تتحدد فمادام قد غادر بيته ومدينته فهو فى سفر .

ثانياً : المريض : الذى يضره الصيام ولم يحدد الله نوع المرض (لأن الله أطلق الحكم فى السفر والمرض : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٤] ، ويقضى اليوم أو الأيام التى أفطرها .

ثالثاً : الشيخ الكبير الذى يرهقه الصيام وهو الذى عناه الله بقوله : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٤] ، فإن كان غير قادر على الإطعام يعفى .

رابعًا : الحامل : التى تخاف على جنينها ، يبيح لها الإسلام الإفطار حتى تضع حملها ، وترضع أطفالها وتقضى الأيام (حتى لو صامت الأيام على عدة سنوات) ولا يشترط الصيام قبل حلول رمضان التالى أى عليها (القضاء فقط) .

خامسًا : المرضع : التى تخاف على رضيعها وأن يجف اللبن تفطر وتقضى الأيام بعد ذلك (كالحامل) سواء بسواء .

سادسًا : المريض الذى لا يرجى شفاؤه : بعد استشارة الطبيب المسلم (كمريض الذبحة الصدرية) (أو مريض القلب) (أو من عنده جلطة أو تصلب شرايين) (أو مرضى السكر) (أو ضغط الدم المرتفع) ويحتاج إلى علاج دائم ، أباح الإسلام له الإفطار ، ويدفع الفدية (طعام مسكين عن كل يوم) ، وقيل : (ما يعادل وجبتى الإفطار والسحور) .

سابعاً : من يقومون بالأعمال الشاقة : (كالذين يقفون أمام الأفران الحامية) (أو يقومون بأحمال ثقيلة) (أو يعملون فى المناجم والمحاجر) فى الأماكن الحارة يقضون الأيام فى (أوقات العطلة) أو (فى أيام الشتاء) .

وإذا كان لا يستطيع القضاء لأن العمل متواصل فعليه (الفدية) إذا استطاع أو يعفى .

* * *

حكمة الصيام

تعددت الآراء فى بيان حكمة الصيام ، ولماذا فرضه الله على المسلمين ، ولعلنا نعرض لبعض هذه الآراء :

١ - أن الإنسان تحكمه عاداته ، ويصبح مجموعة من العادات ويصير كالآلة تحركه شهواته وعاداته ، حتى يصبح عبداً لها ومن هنا يأتى الصيام لينتزعه من هذه العادات ويحرره من قيود الشهوات .

٢ - اعتبر البعض أن الصوم يشفى من أمراض كثيرة ولهذا ينصح به الأطباء فهو عامل قوى لتنقية الجسم من السموم والمواد الحيوانية والتى تحتوى على مواد دهنية تضر بالجسم .

وحصة الروح لا تقل عن حصة الجسم وقد استفاد الطب بالصيام أكثر مما يستفيد من العقاقير والأدوية .

٣ - وقيل : الصوم يدفع الغنى أن يشعر بجوعة الفقير الدائمة فيعطى عن سماحة واقتناع ، فيتم العطف والمودة وتنتفى الجرائم والأحقاد بين الأغنياء والفقراء .

٤ - وقيل : فرض الله الصوم تقوية للإرادة ، وتدريباً على تحمل الصبر والمشقات ، وتهذيباً للنفس وارتقاء بالروح .

والمسلم حين يصوم رمضان إنما يتدرب على تحمل المشقات والجوع والعطش طوال العام ، كما يتدرب الجنود وقت السلم ، ليظلوا على كفاءة قتالية ، ومن هنا يقول النبى ﷺ : « **حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات** » .

٥ - ولكننا نلاحظ أن الأمم الإسلامية أقل صحة من غيرها من الأمم

غير الإسلامية (: أوروبا وأمريكا) ونعانى فى مجتمعنا الإسلامى من شح الأغنياء ، بينما هناك ينفقون ويتبرعون حتى لحماية الحيوانات ، يتبرعون للمعاهد العلمية وللأمراض المستعصية .

وأكثر الأغنياء فى العالم الإسلامى ينفقون الأموال على شهواتهم ، وعلى موائد القمار ومجالس الخمر ، وعلى صدور الغانيات وسباق الخيل .

مع أن الصوم يعلم الجود وسماحة النفس وطلاقة اليد ، كما كان رسول الله ﷺ ، تقول عائشة رضى الله عنها : (كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من ليالى رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ وجبريل يدارسه القرآن أجود بالخير من الريح المرسلة) .

٦ - ولا يمكن حصر خفايا حكمة الصوم ، فإن العبادات وإن علمنا بظواهرها لا يمكن أن نطلع على بواطنها ، وما دام الله قد فرضها فهى خير للفرد والجماعة ، ويمكن القول : أننا إذا طبقنا المعانى الواردة فى (آيات صوم رمضان) فى سورة البقرة ، والتى عرضنا لبعضها نكون قد اقتربنا من ساحة الحكمة من الصيام ، فلا نركز الصيام على مجرد (الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة) فهذه أحيانًا يقوم بها الحيوان (وإنما حكمة الصوم أجل من هذا) .

فالنفس كالأرض الخصبة إذا بذرتها بالبذور الطيبة وتعهدتها بالسقيا ، وجنبتها الحشائش الضارة خرج المحصول وفيراً كثيراً ، وكذلك النفس تحتاج إلى التدريب على تحمل المشقات وإبعادها عن مألوف العادات ، ومراتع الشهوات ، وما أصدق قول الشاعر :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

٧ - **وعبادة الصيام** لا تعدلها عبادة ، فقد سأل أبو أمامة رسول الله ﷺ أن يأمره بعمل يقربه من الله ، قال : « عليك بالصوم فإنه لا عدل له » .

فإذا ما صام المسلم صياماً سليماً غفر الله له ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر ، وكأنما ولد من جديد ، صفحته بيضاء وهذا معنى قول رسول الله ﷺ « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

* * *

فضل شهر رمضان

١ - يقول عليه الصلاة والسلام : « **يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل اللّه صيامه فريضة ، وقيامه تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن من أفطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء** » .

٢ - « **شهر أوله رحمه ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار** » .

٣ - ويقول النبى ﷺ : « **استكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بها ربكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة ألا إله إلا اللّه ، وتستغفرونه ، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنها ، فتسألون اللّه الجنة ، وتعوذون به من النار** » .

٤ - وكل عبادة تحدد جزاؤها الحسنة بعشر أمثالها إلا عبادة الصوم ، فإن الله أوكل جزاءها لذاته العلية ، قال الله عز وجل : « **كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جُنة** - أى وقاية - **فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إنى امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند اللّه من ريح المسح ، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطوره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه** » .

وكلمة (الرفث) تطلق على الجماع ، وما يدور بين الرجل وامرأته ، كما تطلق على فحش القول .

٥ – وصوم رمضان صبر ، والصبر نصف الإيمان ، والله يقول : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزُمَر: الآية ١٠] .

٦ – ويقول عليه الصلاة والسلام : « **إذا كانت أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنان ، فلم يغلق منها باب واحد ، الشهر كله ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب الشهر كله ، وغلت العتاة من الجن ونادى مناد من السماء كل ليلة إلى انفجار الصبح : يا باغى الخير يمم وأبشر ، ويا باغى الشر أقصر وأبصر ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب يتوب الله عليه ، هل من داع يستجاب له ، هل من سائل يعطى سؤله** » .

٧ – شهر رمضان تميز بفريضة الصيام ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **إن الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقاية إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » . ويقول عليه الصلاة والسلام : « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » ومعنى (إيماناً واحتساباً) أى نية وعزيمة ، وقيل : (احتساباً) أى طلباً لوجه الله تعالى وثوابه .

٨ – صوم رمضان يشفع للعبد يوم القيامة ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه** » قال فيشفعان .

٩ – فيه ليلة القدر ، ليلة التجليات والبركات ، فيها نزل القرآن ، فأحيا الله به الأمة بعد موات ، ووحدها بعد فرقة ، وأغناها بعد فقر ، وقواها بعد ضعف ، وعلمها بعد جهل : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ .
[القدر: الآيات ١-٣]

١٠ - وفى رمضان كانت بعثة النبى عليه الصلاة والسلام (وهو يتعبد فى غار حراء ، يتأمل الكون ويريد أن يصل إلى الحقيقة ، وقد رفض أصنام قومه ، وبينما هو كذلك إذ نزل عليه جبريل وقال له : (يا محمد اقرأ) ثلاثاً ، ثم لقنه أول آيات نزلت من القرآن : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العَلق: الآيات ١-٥] ، فكانت دعوة للقراءة والعلم وانطلاقاً بالعقل البشرى من قيود الضلال والجهالة : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: الآية ١١٣] .

معارك تاريخية فى رمضان :

١١ - وفى رمضان دارت أعظم معارك التاريخ التى غيرت وجهه :

- **معركة بدر الكبرى** : والتى أطلق المولى عليها (يوم الفرقان) كما قال ربنا : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤١﴾ [الأنفال: الآية ٤١]

انتصرت فيها الفئة القليلة المؤمنة على الفئة المشركة الباغية ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢٣﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٢٣] .

ويقول ربنا : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤٩] .

فتح مكة : وبعدها سيطر الإسلام على الجزيرة العربية ، وجاءت الوفود مبايعة : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: الآيات ١-٣] .

وأرسل النبى ﷺ رسائله المشهورة للملوك وزعماء العصر ، يدعوهم إلى الإسلام : (فالإسلام دين عالمى) .

(أ) **معركة القادسية** : التى تم فيها القضاء على (دولة الفرس) وعباد النار ، وأنهت تماماً أقوى دولة فى ذلك الوقت تسيطر على بلاد كثيرة .

(ب) **معركة اليرموك** : تلك المعركة التى انهزم فيها الروم وخرجوا من المنطقة العربية ، وقال قيصر الروم : (سلام عليك سوريا سلاماً لا لقاء بعده) وتقوقع الروم فى (القسطنطينية) الآستانة بتركية .

(ج) **معركة حطين** : حيث قهر البطل صلاح الدين الأيوبى جموع الصليبيين ، واسترد (بيت المقدس) والمدن الفلسطينية .

(د) **معركة المنصورة** : التى انهزم فيها جيش فرنسا بقيادة (لويس التاسع) وسجن فى (دار ابن لقمان) ودفعت فرنسا فدية كبيرة لاطلاق سراحه .

(هـ) **معركة عين جالوت** : حيث قهرت الأسود المصرية تحت قيادة (البطل قطز) التتار ، وكانوا كالجراد المنتشر ، يهدمون البيوت ، ويحرقون الكتب ، ويذبحون الأطفال والنساء والشيوخ ، ولو دخلوا مصر لانتهت الحضارة الإنسانية بعد أن قضوا عليها فى (بغداد ودمشق) وكان للأزهر دور كبير تحت قيادة (العز بن عبدالسلام) المعروف (بسلطان العلماء) .

(و) **وأخيرًا وليس بآخر** : (معركة العاشر من رمضان) التى كانت مفخرة للعسكرية المصرية ، وانهزم جيش إسرائيل الذى لا يقهر ، وقطعت ذراعها الطويلة ، واستردت مصر سيناء ، حيث عادت إلى حضن الأم (وتفرغت مصر للتنمية والبناء) .

كيف يكون صيامك سليماً

هناك أمور لابد أن يتبعها الإنسان ليكون صيامه مقبولاً :

أولاً : التوبة والاستغفار : فلا يصح أن يدخل عليك رمضان وأنت تعصى الله إنما لابد وأن تصلح ما بينك وبين الله .

لابد من التوبة النصوح : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: الآية ٨] .

والتوبة النصوح أن تعترف بالذنب وتتوب منه ، وتعمل عملاً صالحاً ، وتعزم عزماً أكيداً على ألا تعود إليه أبداً ، وإن كان يتعلق بحق من حقوق العباد لابد من أدائه لهم .

والله يفرح بتوبة عبده : « **لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم كان بأرض فلاة فذهبت عنه راحلته ، وعليها طعامه وشرابه فاستراح تحت شجرة ، ونام ثم وجدها عند رأسه فأخذ بخطامها وقال : اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطا من شدة الفرح** » .

والتوبة واجبة لكل المؤمنين ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: الآية ٣١] .

وينادى الله عباده : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: الآية ٧٤] .

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ

وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء : الآيتان ١٧، ١٨] .

ثانياً : عقد النية قبل دخول رمضان : إما بالتلفظ ، وإما بالقلب لقول النبى عليه الصلاة والسلام : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى** » .

والتلفظ بالنية تكفى مرة لكل رمضان إلا إذا انحرفت النية ، فيبطل الصيام (نويت صيام شهر رمضان إيماناً واحتساباً) .

ثالثاً : السحور قبل الفجر : بوقت كاف ليعينك على الصيام ، ولكى تفوز بصلاة الفجر ، والرسول ﷺ يقول : « **عجلوا الإفطار ، وأخروا السحور** » ، « **لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور** » ويقول : « **فرق ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور** » .

والحمد للهأصبح التوقيت الفلكى ثابتاً ويمكن الاعتماد عليه بدل انتظار الخيط الأبيض من الفجر ، والدعوة عند الإفطار لقول النبى : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم** » .

رابعاً : الحرص على صلاة الفجر : ولا يصح أن يسهر المسلم أمام المسلسلات والفوازير والتمثيليات (وخاصة أن القنوات العامة تعددت) علاوة على (القنوات الفضائية) وأصحاب (الدش) لا يصح أن نبتعد عن روح رمضان (روح العبادة والخشوع) وأبسط الأمور أن نحرص على صلاة الفجر .

خامساً : السعى للعمل : بجد ونشاط ، فالصيام يعطيك طاقة وقوة ، ولا يصح أن يكون رمضان شهر كسل وبلادة ، ونحن نعلم كما عرضنا

أن أعظم معارك التاريخ كانت فى رمضان ، أعطى المسلمين من نفحاته وبركاته ، ولا ننسى معركتنا مع العدو الصهيونى فى العاشر من رمضان ، وكيف انعكس جلال رمضان وروحانيته على القوات المسلحة المصرية ، فأدوا أدوارهم بكفاءة عالية ، وتم لهم النصر : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ⑦﴾ [محمد: الآية ٧] .

ولا ننسى أن كلمة السر فى معركة العاشر من رمضان كانت كلمة (بدر) إشارة إلى المعركة العظمى التى أطلق عليها (يوم الفرقان) ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنفال: الآية ٤١] .

سادساً : كظم الغيظ : وعدم انفلات الأعصاب ، لأقل شىء بحجة الصيام ، فالصيام سكينة وثقة وما نراه من بعض المنحرفين لا يمت إلى الصيام بصلة ، والنبى ﷺ قال : « **الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم** » .

سابعاً : عدم الإسراف فى أى شىء ، فالإسلام دين اعتدال ، وقد وصف الله هذه الأمة بأنها أمة وسط فى عقيدتها وأخلاقها ومعاملاتها : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: الآية ١٤٣] .

١ - أراد الإسلام عدم الإسراف فى المأكل والمشرب : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: الآية ٣١] .

والنبى ﷺ يقول : « **ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة آكلاً فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه** » ولقمان الحكيم يعظ ولده ، فيقول : (يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة) .

٢ - والقرآن أوصى بالتوسط حتى فى العبادة ، كالصلاة ، يقول المولى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ . [الإسراء: الآية ١١٠]

وفى الإنفاق لا إسراف ، ولا بخل : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: الآية ٦٧] .

والرسول ﷺ دعا إلى التيسير : « **يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا** » .

٣ - إسراف فى السهر أمام التليفزيون والفيديو ، فترهق الأعين ، ونحرم من صلاة الفجر ، والرسول ﷺ قال : « **إن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً** » .

٤ - إسراف فى الضحك : فى شلل تقضى الساعات تضحك على المسرحيات أو النكات الخليعة والرسول حذر : « إياك وكثرة الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلوب » .

٥ - إسراف فى الأفراح والتكاليف الباهظة من (شبكة ومهر وأثاث وحفلات) ، والرسول ﷺ يقول : « **خير النساء أحسنهن وجوهاً ، وأيسرهن مهوراً** » .

والتكاليف الباهظة فى المآتم التى دخلت فيها أمور ينفر منها الإسلام : « السرادقات الواسعة، والأنوار المبهرة ، والتأثيث الفخم ، وتصوير الفيديو ، والمقرئين المكلفين ، والذبح تحت النعش ، وهو عادة جاهلية ، والرسول ﷺ قال : « **لا عقر فى الإسلام** » ، ثم الانفاق البذخى فى أيام الخميس ، والأربعين ، وتمام السنة ، وهى أمور لا مكان لها فى الإسلام ، فالميت ذهب لربه ، ولا يناله من أهله إلا الدعاء وما قدموه من

صدقة جارية ، أو نشر علم ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** » .

٦ – نبدد فى رمضان أموالاً طائلة تكفى للعام كله بما نحشده من أطعمة أو أشربة ، والمفروض أن برمضان وجبتين ، وجبة الإفطار ، ووجبة السحور : أى كان من المفروض أن نوفر ثلث التكاليف الشهرية ، وللأسف الحكومات ساعدت فى ذلك ، وحشدت أصنافاً من الأطعمة لا يعرفها المواطن إلا فى شهر رمضان ، وكأن شهر رمضان هو شهر الأكل والبطن ، وعمر حذر من البطنة فقال : (إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ، ومؤدية للسقم ، منتنة عند الموت وعليكم بالقصد فى قوتكم) .

البعد عن السرف أصح للبدن وأتم للعبادة ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب ، فإن القلب كالنبات يموت إذا كثر عليه الماء** » .

٧ – لا تتعامل بالحرام بأى صورة لا تأكل حراماً ، فيبطل صيامك ، ولا تغش فى مكيال أو ميزان ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **من غشنا فليس منا** » والله حذر من ذلك : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [المطففين: الآيات ١–٥] .

٨ – وصف الله اليهود : ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة : ٤٢] التعامل بالربا ، والاستغلال الفاحش للإنسان .

ولقد أهلك أمة شعيب لأنها طففت المكيال والميزان ولم ترتدع بعد نصح شعيب لها .

والمال فتنة وقد يتغلب على حب الأولاد ، ولهذا يتقدم فى الذكر دائماً ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن: الآية ١٥] .

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٦] .

٩ - يجب أن تكون سمحاً كريماً فالصائم يعطى بلا حدود ، وعائشة تقول عن رسول الله : (كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من ليالى رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله وجبريل يدارسه القرآن أجود بالخير من الريح المرسلة) .

١٠ - تلاوة القرآن : كلما استطعت إلى ذلك سبيلاً فنحن هجرنا القرآن طوال العام ، تلاوة وحفظاً ومدارسة ، وتخلقاً وتشريعاً حتى كاد ينطبق علينا قول الله : ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: الآية ٣٠] .

والله لما وصف شهر رمضان وصفه بأنه شهر القرآن : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴿١٨٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥] .

والرسول ﷺ يقول : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » ويقول « **إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب** » .

والانتظام فى صلاة التراويح يقربك من القرآن ، لأنها قيام بالقرآن .

* * *

كيف تنال ليلة القدر

ليلة القدر هى ليلة التجليات والنفحات والبركات ، والرسول ﷺ يقول : « **ألا إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فالتمسوها فلعل أحدكم تصيبه رحمة من الله لا يشقى بعدها أبداً** » .

ليلة القدر هى جوهر رمضان بل كل أيام السنة إنها ليلة الاتصال المطلق بين السماء والأرض ، نزل فيها القرآن ، ونزلت فيها الكتب السماوية : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: الآيات ١-٣] .

ومعنى ليلة القدر : ليلة التقدير والشرف وعلو المكانة ، هى خير من ألف شهر إذا افترضنا صيام نهارها ، وقيام ليلها ، وأتينا فيها بصالح الأعمال ، فهى خير من ألف شهر .

وحدد الله ألف شهر لأنه متوسط عمر الإنسان ، فكأنها ليلة تعدل العمر كله ، فى لحظة واحدة يولد الإنسان من جديد بصفحة جديدة ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

فى ليلة القدر الملائكة فى الأرض أكثر من عدد الحصى ، وحبات الرمل ، وقطرات الماء ، وأوراق الشجر على رأسهم جبريل يمرون على العابدين والذاكرين فتعمهم الخيرات والبركات : ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ [القدر: الآية ٤]

ويقول عليه الصلاة والسلام : « **إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يمرون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى** » .

وليلة القدر هى ليلة السلام والأمن ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: الآية ٥] ، وقد أخفاها المولى لنجتهد فى كل الليالى كما أخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة ، لنجتهد فى بقية الساعات ، وكما أخفى الصلاة الوسطى بين الصلوات لنجتهد فى الصلوات ، وكما أخفى اسمه الأعظم لنتعبد ببقية الأسماء : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: الآية ١٨٠]

والنبى عليه الصلاة والسلام حددها فى السبع الأواخر فى وتر ، فلقد خرج رسول الله ليخبر الصحابة بليلة القدر وقد ظهرت له ، فوجد رجلين يتشاحنان فرفعت ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **كنت قد خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها فى السبع الأواخر فى وتر** » .

والذى حدد ليلة القدر فى السابع والعشرين التى نحتفل بها الأمة إنما هو عبد الله بن عباس ، قال : قرأت سورة القدر فوجدت كلمة (هى) جاءت فى السابع والعشرين من الكلام ، وكلمات سورة القدر ثلاثون كلمة ، وتكررت كلمة ليلة القدر ثلاث مرات ، والكلمة من تسعة أحرف ، فهى فى السابع والعشرين .

ويقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : (نظرت فى القرآن فوجدت السموات سبعاً والأرضين سبعاً ، والإنسان يتطور فى بطن أمه فى سبعة أطوار ، ويسجد المسلم على سبع ، وأيام الأسبوع سبعة ، ورؤيا يوسف تركزت على سبع ، وثواب الإنفاق فى سبيل الله مضاعفات الرقم سبعة .

وقد سألت عائشة رسول الله ﷺ إذا وافقت ليلة القدر فبما أدعو ، فقال : « **قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى** » .

ونصل إلى ليلة القدر بالاعتكاف ، وكان النبى عليه الصلاة والسلام يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان طلباً لليلة القدر تقول عائشة رضى الله عنها : (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر) أى اعتزل النساء .

الاعتكاف : ذكره الله فى قوله : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة : الآية ١٢٥]

والاعتكاف يهيء الجو لجمع الخواطر والصفاء القلبى تشبهاً بالملائكة ، وتأهيلاً لشهود ليلة القدر .

ويكون الاعتكاف فى مسجد جامع تدخله (قبل الغروب) وأنت صائم وتخرج منه (بعد صلاة العيد) وإذا كان الاعتكاف يوماً واحداً تدخل المسجد وأنت صائم وتخرج منه وأنت صائم .

وسلوك المعتكف يجب أن يكون نقياً لا هم له إلا العبادة (من صلاة أو تلاوة قرآن ، وذكر ودعاء) فلا اعتكاف إلا بصوم ، ولا اعتكاف إلا فى مسجد جامع .

وليس للمعتكف أن يعود مريضاً أو يمشى فى جنازة ، أو يعقد صفقة وله أن يخرج من المسجد لطلب الطعام ولا يباشر امرأته بأى صورة (حتى النظرة والقبلة واللمسة) : ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧]

وفضل الإسلام قضاء المصالح على الاعتكاف ، لأن الاعتكاف فائدته تعود للمرء نفسه ، أما قضاء المصالح فللآخرين ، يقول عليه الصلاة

والسلام : « **من مشى فى حاجة أخيه كان خيراً له من الاعتكاف عشر سنين** » .

والاعتكاف مع الصوم تقوية للإرادة ، ومع الصلاة تهذيب للأرواح ، والاعتكاف يقوى روح المراقبة والإخلاص ، وتسلم النفس لله ، وإعراض كامل عن متع الدنيا .

* * *

الصوم المنهى عنه

١ - **مواصلة الصوم بعد الغروب حتى فجر اليوم التالى** ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليسواصل حتى السحر** » ، ولما قال له أصحابه : إنك تواصل ، قال : « **لست كهيئتكم إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى** » .

٢ - **صوم الدهر كله** : يقول عليه الصلاة والسلام : « **لا صام من صام الدهر** » « **وخير الصيام صيام سيدنا داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً** » .

٣ - **صوم العيدين** : فقد أباح الله فيهما الأكل والشرب والمرح .

٤ - **صوم الحائض والنفساء** لأن الصوم مشقة ، والله لا يجمع عليها مشقتين .

٥ - **صوم الزوجة وزوجها حاضر بدون إذنه تطوعا ولكن تصوم رمضان بغير إذنه** .

الصيام المكروه :

١ - **صوم يوم الشك** عن عمار بن ياسر (من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم) .

٢ - **صيام أيام التشريق** الثلاثة الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة .

٣ - **صيام يوم الجمعة** منفرداً إلا إذا وافق عادة ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **إن يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده** » .

جريمة من أفطر رمضان عمداً :

يقول عليه الصلاة والسلام : « **من أفطر يوماً من رمضان فى غير رخصة رخصها الله لم يقض عنه صيام الدهر كله ، وإن صامه** »

صلاة التراويح

سنها النبى ﷺ ، وهو القائل : « **قد أتاكم شهر مبارك فرضت عليكم صيامه وسننت لكم قيامه ، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حرم رحمة الله عز وجل** » .

كان النبى ﷺ يصليها مع الناس وبعد ثلاثة أيام ازدحم المسجد فامتنع فى بيته مخافة أن تفرض على المسلمين .

وكان النبى ﷺ يصليها إحدى عشرة ركعة ، تقول عائشة رضى الله عنها : (ما كان رسول الله يزيد فى رمضان أو غيره على إحدى عشرة ركعة يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثاً ، فقالت : يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة إن عينى تنامان ولا ينام قلبى .

ولما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجد عند الناس فراغاً فصلاها عشرين ركعة ، وثلاثاً وتراً ، وجمع الناس على إمام واحد هو (أُبى بن كعب) .

وفعل عمر سنة لقول النبى عليه الصلاة والسلام : « **عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** »

* * *

زكاة الفطر

زكاة الفطر مرتبطة ارتباطاً وثيقاً برمضان ، لا يتم قبول الصوم إلا بأدائها ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر** » .

وقال النبى ﷺ عن الفقراء : « **اغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم** » .

زكاة الفطر :

تكفير للصائم عما وقع خلال رمضان ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **فرضت زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين** » .

والحسنة تمحو السيئة ، والله يقول : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ .

[هُود: الآية ١١٤]

والرسول ﷺ يقول : « **اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » .

وزكاة الفطر مفروضة على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى ، صغيراً كان أو كبيراً ، حراً كان أو عبداً من يجد قوته ليلة العيد ويومه حتى الفقير الذى يأخذ الزكاة يخرجها مما فاض عليه ، لأنها مشاركة وجدانية بين المسلمين ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **أما غنيكم فيزكيه الله عز وجل ، وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى** » .

وتخرج زكاة الفطر من غالب قوت البلد (والكيلة لستة أشخاص) ، وفى المدن يباح إخراج النقود ، لأنها أنفع للفقراء والمساكين ، ولا يجوز إخراج الزكاة من بلد إلى بلد إلا إذا لم يعد فيه فقراء ، ولابد من إخراجها قبل

أن يدخل الإمام فى الصلاة صباح يوم العيد ، وتخرج فى كل يوم من رمضان ، والأفضل القرب من العيد لأنها تسمى (**زكاة الفطر**) يقول عليه الصلاة والسلام : « **من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات** » ، **مستمداً من قول الله** : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى : الآيتان ١٤، ١٥]

* * *

خاتمة

لقد حرصت أن يكون هذا الكتاب بعيداً عن الاختلافات الفقهية والعبارات المعقدة ، وتمثلت فيه المسلم وحاجته إلى ما يصحح عقيدته وعبادته ، فكثيرون يقعون فى أخطاء وهم صائمون ولا يدرون .

وأردت أن أنبه المسلم إلى أن الصيام ليس عملاً روتينياً سنوياً ، ولا مجرد حرمان من الطعام والشراب والشهوة شهراً كاملاً ، وإنما ارتفاع بالنفس البشرية لتأخذ مكانتها حيث كرم الله الإنسان : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: الآية ٧٠] .

فيستحق بذلك الخلافة التى اختاره الله لها وجعل له السيادة فى الأرض ، وسخر له الكون ، ولا يصح أن ينتكس إلى أسفل السافلين وينحدر إلى مرتبة أحط من مرتبة الحيوان.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين: الآيات ٤-٦]

ومن هنا ينطلق الإنسان بعد صيام رمضان متسلحاً بسلاح الإيمان ، ومزوداً بزاد التقوى قد تيقظت فيه ملكة المراقبة ، وتطلع إلى ما عند الله ،

(والله خير وأبقى)

تم بحمد الله وتوفيقه .

عبد المعز خطاب

فهرس الكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٨١٠٠ / ٩٩

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١